(إحذروا التسويف)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرورأنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادي له ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل :

(وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) .

ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذى قال : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسرعلى معسر يسرالله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن سترمسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

من أمثال العرب : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك

هذه مثل يضرب للتسويف وهو : أن يقول الإنسان سوف أعمل...وسوف...وسوف ثم يأتيه الموت ولا يعمل شيئا

والرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحذر من التسويف فيقول : (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّفَقْرًا مُنْسِيًا أَوْغِنًى مُطْغِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْالدَّجَّالَ...فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ...أَوْالسَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) ومعنى بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا : أي اعملوا الصالحات قبل أن تصيبكم هذه السبع .

عباد الله المؤمنين : هذا الحديث ورد في باب المبادرة إلى الخيرات...وربنا عزَّ وجل أشار إلى هذا المعنى في القرآن الكريم فقال : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) .

أخى الكريم : إذا كنتَ بحاجة ماسة إلى بيت ، وبلغك أن هناك بيتًا في منطقة ممتازة بثمن زهيد وتستطيع أن تدفع ثمنه ماذا ستفعل ؟ هل تقول لمن أخبرك : سأذهب إليه غدا ؟ لن تقول ذلك لماذا ؟ خشية من أن يسبقك إليه غيرك ، فطبيعة الإنسان أنه يحب الخير قال تعالى : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) فهو يسعى لجمعه...وفى الوقت نفسه يتكاسل وينام عن عمل الصالحات وهن الباقيات ، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصينا بعمل الصالحات قبل أن تصيبنا واحدة من سبعة أمورلانستطيع العمل الصالح معها ، فهؤلاء الذين يموتون على ماذا يندمون ؟ على عدم العمل الصالح قال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ويقول تعالى : (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) ويقول صلى الله عليه وسلم : (ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إلا نَدِمَ قَالُوا : وفِيمَ نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِّ ؟ قَالَ : (إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ نَزَعَ) يعني تاب ورجع ، ويقول تعالى : (وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) ولك أن تخيل هذه الدرجات فى كل موطن ستكون فيه : عند الموت سترى الدرجات فتندم ، وفى القبر فتندم ، وعند الجزاء فتندم ، وهكذا.....

فالعمل الصالح طريق الوصول إلى الله قال تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ولكن هل العمل الصالح هو الذى سيدخلك الجنة ؟ الجواب : لا هو فقط سبب لدخولك الجنة لأنك استجبت لأوامر الله واجتنبت نواهيه ونذكر مثالا من الواقع : هل حصولك على مؤهل جامعي هو الذى جعلك عالما ؟ الجواب : لا فالمؤهل الجامعي شهادة من جهة مسئولة تفيد بأن صاحب هذا المؤهل يستطيع أن يُحَصِّلَ العلم النافع فى مجال تخصصه ، أما العلم النافع فهو فى الكتب وفى النشرات العلمية الحديثة ، فكذلك العمل الصالح سيكون سببا فقط فى دخولك الجنة فهو بمثابة شهادة بيدك ، فمهما كسبت فى الدنيا من مسكن فاخر وسيارة ومال وغيرذلك من ملذات الحياة ولم يكن لك عملٌ صالح للآخرة فأنت خاسر...بل من أشد الناس خسارةً قال تعالى :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

ففى الحديث الذى معنا سبعة أمور حذر منها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأمرنا أن نبادر بالأعمال الصالحة لتكون رصيدا لك فتشفع لك عند ربك إذا أصابتك ، عندئذ سيرفعها الله عنك كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(تعرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفْك في الشدة) أي: تقرَّب إليه بطاعته والشكر على نعمته ، والصبرعلى قضائه : (في الرخاء) أي : في الأمن والنعمة وسعة العمر وصحَّة البدن (يَعْرِفْك في الشدة) بتفريجها عنك ويجعل لك من كلِّ همٍّ فرجًا ومن كلِّ ضيق مخرجًا ، فسارع أخي المسلم بالأعمال الصالحة : فأنت اليوم حي ترزق وفي قوة ، لكن قد يأتي عليك زمان لا تستطيع ولا تقدر على العمل الصالح ، فإذا عودت نفسك على العمل الصالح إعتادته وسهل عليك وفرج الله كربك عند المكروه **ولم لا ؟** فقد أخبر تعالى عن يونس عليه الصلاة والسلام لما وقع فى بطن الحوت ونادى ربه بقوله : (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فاستجاب الله له بقوله : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) نجاته كانت بسبب أنه كان مسبحا لله فى حال رخائه فنجاه الله عند بلائه فقال تعالى : (فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أما إذا عودت نفسك على الكسل والإهمال ولم تعمل صالحا فى حال رخائك لن يفرج الله كربك عند المكروه كفرعون لما تنكَّر لربِّه في حال رخائه...فلما أدركه الغرق قال كما أخبرنا ربنا : (قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فلم يُنْجِه اللهَّ عند بلائه فقال له : (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) فإذا تعلقت بالدنيا ولم تعمل للآخرة فمن يضمن لك أنك ستنجو من هذه السبعة إذا جاءتك ؟ الجواب : لن تنجو منها لذلك يدعونا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العمل الصالح ، ويحذرنا من أمور قد تأتى فى المستقبل فيقول : (هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّفَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْغِنًى مُطْغِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا أَوْالدَّجَّالَ فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْالسَّاعَةَ...فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) ولقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الفقر فيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ) وكان سيدنا علي كرم الله وجهه يقول فى الفقر : كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا ففى بعض الحالات يصبح الفقر كالكفر ، فإذا جاء الفقر مع الجهل ربما كفر هذا الفقير...فالفقر أحياناً ينسي صاحبه أن يصلي ، ينسيه أن يؤدي واجباته نحو أولاده ، ربما لايملك الفقير ثمن أجرة ركوب سيارة عامة فيمشي ساعة أو أكثر ، وربما لايملك ثمن الطعام لأولاده ، وأعرف بعض الناس رحمه الله كان يقول : لقد كرهت كلمة يا أبى نعوذ بالله من الفقر ، فهل هذا الفقير سيتقبل منك عظة ؟ الجواب : لا أما إذا صبر الفقير ورضي كان جزاؤه ما أخبربه النبى صلى الله عليه وسلم : (إن فقراء المسلمين سيدخلون الجنة قبل الأغنياء) وللعلماء أقوال : قيل : يتقدمون فى دخول الجنة لخفة الحساب والأغنياء يؤخرون لكثرة ماعندهم من خير وقيل : سيدخلون الجنة بسبب صبرهم على الفقر إقرأ قول الله تعالى : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) قال محمد بن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما : الغرفة هي الجنة بما صبروا أي على الفقر فى الدنيا وقيل : قد يسبقون فى دخولهم الجنة بسبب صدقاتهم لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سبق درهم مائة ألف درهم) قالوا يا رسول الله كيف سبق درهم مائة ألف درهم ؟ قال : (رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وآخر له مال كثير فأخذ منه مائة ألف فتصدق بها) ويقول الله فى الحديث القدسي : (أحب ثلاثا وحبي لثلاث أشد : أحب التائبين وحبي للشاب التائب أشد ، وأحب أهل السخاء وحبي للفقير السخي أشد ، وأحب المتواضعين وحب للغني المتواضع أشد وأكره ثلاثا وكرهي لثلاث أشد : أكره العصاة وكرهي للشيخ العاصي أشد ، وأكره المتكبرين وكرهي للفقير المتكبر أشد ، وأكره البخلاء وكرهي للغني البخيل أشد) وقيل : قد يكون هذا الفقر للمؤمن رفعا لدرجاته ، لأن المؤمن ثابت لايتغير لا في الغنى ولا في الفقر ، لا فى الصحة ولا فى المرض ينظر إلى هذا البلاء على أنه امتحانٌ له قال تعالى :

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا)

والله عزوجل لايفقر فقيرا لأنه يستحق الفقر...فقد يكون الفقر لبعض الناس أنفع كما فى الحديث القدسي :

(إن من عبادى من لايصلح إيمانه إلا الغنى ولوأفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادى من لايصلح إيمانه إلا الفقر ولوأغنيته لأفسده ذلك...) وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (...أَوْغِنًى مُطْغِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْالدَّجَّالَ...فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْالسَّاعَةَ...فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) هذا سنوضحه فى اللقاء القادم إن شاء الله .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

تابع : (احذروا التسويف)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادي له ، ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل :

(وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)

ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذى قال : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسرعلى معسر يسرالله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّفَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْغِنًى مُطْغِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا أَوْالدَّجَّالَ...فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةَ...فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) .

ومعنى بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا أي اعملوا صالحا قبل أن تصيبكم واحدة من هذه السبع

عباد الله المؤمنين : فقد تحدثنا فى اللقاء السابق عن الفقرة الأولى وهي : (هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّفَقْرًا مُنْسِيًا) وقلنا : فى بعض الحالات قد يصبح الفقر كالكفر...فإذا جاء الفقر مع الجهل ربما كفر هذا الفقير...فالفقير الذى لايملك ثمن أجرة ركوب سيارة عامة فيمشي ساعة أو أكثر ، أولايملك ثمن الدواء لأولاده ، هذا الفقر قد ينسي صاحبه أن يصلي ، ينسيه أن يؤدي واجباته نحو أولاده ، نعوذ بالله من الفقر المنسي ، أما إذا صبر الفقير ورضي كان جزاؤه ما أخبربه النبى صلى الله عليه وسلم : (إن فقراء المسلمين سيدخلون الجنة قبل الأغنياء) .

وذكرنا أقوال العلماء فقيل : يتقدمون فى دخول الجنة لخفة الحساب ، والأغنياء يؤخرون لكثرة ماعندهم من خير وقيل : سيدخلون الجنة بسبب صبرهم على الفقر إقرأ قول الله تعالى : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا) قال محمد بن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما : الغرفة هي الجنة بما صبروا أي على الفقر فى الدنيا وقيل : قد يسبقون فى دخولهم الجنة بسبب صدقاتهم لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سبق درهم مائة ألف درهم) قالوا يا رسول الله كيف سبق درهم مائة ألف درهم ؟ قال :

(رجل كان له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وآخر له مال كثير فأخذ منه مائة ألف فتصدق بها)

وليس معنى ذلك أن يطلب الإنسان الفقر فكما استمعتم من قبل قول سيدنا علي كرم الله وجهه : لو كان الفقر رجلا لقتلته وقوله : كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا ، وقد يقول قائل : لماذا طلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحيا مسكينا...هنا تفرق بين الفقيروالمسكين...وتقول : إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان غنيا ولكنه كان يعيش عيشة الفقراء وتذكر : مقدار ما وصله من غنائم المسلمين فى غزوة حنين ولم يغادر حنينا حتى وزعها.....

بعض الناس حينما يسمع عظة عن الآخرة ويتأثر بها يقول : اللهم أنزلْ بي المرض فى الدنيا ولا تعذبنى فى الآخرة وأعرف من دعا بذلك...قالوها وهم شباب فلما طالت أعمارهم ندموا على ما قالوا ، فهذا خطأ ومخالف للشرع فمَن أنت ؟ أتظن أنك أعظم من رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما سأل ربه العافية ، فلاتقل شيئا لاتعرف عاقبته ، وراقب الكلمة التى تخرج من فمك ، فالبلاء موكل بالمنطق أوالقول ، فرب كلمة يفرج الله بها الكرب ، ورب كلمة تكون سببا فى شقاء من قالها ، نعم رب كلمة يفرج الله بها الكرب ، أنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : (إن لم يكن بك غضبٌ علي فلا أبالي...) قال بعدها مباشرة : (غير أن عافيتك هي أوسع لي...) فجعل الله له مخرجا فى دخول مكة بعدما قال له زيد بن حارثة فيما معناه : ماذا أنت فاعل يارسول الله ؟ كيف تدخل مكة ؟ وتتحدث عن مخاطبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعض

وجهاء قريش ليجيروه ولمطعم بن عدي وكل ما يتصل بهذا الأمر.....وتذكر ثناء سيدنا عمر بن الخطاب على أم المؤمنين : عائشة رضي الله عنها فى حادثة الإفك ، وكيف انعكس هذا الثناء عليه فى موافقتها على دفنه بحجرتها بجوار زوجها صلى الله عليه وسلم وبجوار أبيها...

ورب كلمة تكون سببا فى شقاء من قالها...تذكر قول سيدنا يوسف عليه السلام : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ) فلم يسأل الله العافية فدخل السجن وقول سيدنا موسى عليه السلام : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ) ولم يقل إن شاء الله فتعرض للمحنة ، وتتعرض لوحي الله للأنبياء فى صغرهم...وتذكرما قالته امرأة فرعون : (قَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) لوقال فرعون : بلى لهداه الله به ، ولكنه أبى حين قال : أما لك فنعم ، وأما لي فلا...أي : لاحاجة لي به فلم يهده الله .

فالإنسان يطلب من الله دائما السلامة والعافية ويطلب منه الرزق فخزائنه ملأى بالخير قال تعالى :

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّعِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) فإذا ضاق بك الحال فسل الله عزوجل كما قال : (يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي...فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ) .

وإن الله عز وجل ليحمي أحدكم من الدنيا كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة وأنا أؤكّد لكم : عندما يكشف عن المبتلى الغطاء ، ويريه الله الحكمة من هذا البلاء ؟ سوف يذوب خجلاً من الله على كل شيءٍ ساقه الله إليه ، فإن كان الله قد وهب لهذا الذكور ووهب لهذا الإناث ، أو حرم هذا من الأولاد ، أوجعل هذا عقيمًا ، وإذا كان الله قد جعل هذا فقيرًا وهذا غنيًا ، وإذا كان الله قد جعل هذا عليلاً وهذا صحيحًا ، هذا مولود بعاهة وظلت معه فى حياته هذاعنده كنسر...إلخ حينما ينكشف للعبد يوم القيامة الغطاء لا يملك إلا أن يقول كلمةً واحدة كما قال تعالى : (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

فالبطولة هي : الرضا بالواقع الذى أنت فيه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ : (عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ : لاَ يَارَبِّ ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ) وفى رواية (أَجُوعُ يَوْمًا فأصبر ، وأَشْبَعُ يَوْمًا فأشكر) .

فعليك أيها المسلم أن تستسلم لله ، فهو محبٌ لك أكثر من حبك لنفسك ، فهو سبحانه وتعالى مشتاق للقائك حتى ولوكنت عاصيا يقول فى الحديث القدسي : (عبدي المؤمن أحب إلي من بعض ملائكتي ، لو يعلم المعرضون انتظاري لهم لتركوا معاصيهم ، و لو يعلموا شوقي إليهم لتقطعت أوصالهم من حبي ، ولماتوا شوقاً إليَّ... هذه إرادتي بالمعرضين فكيف إرادتي بالمقبلين؟!) .

هذه النقاط السبع قد تصيب كل واحد منا فعليك أخى المسلم أن تسارع وتبادر إلى الأعمال الصالحة لتكون رصيدا لك عند ربك ، فإذا ابتليت بواحدة مما استمعت إليه عافاك الله من كل مكروه...دفع الله عنك هذا البلاء فيجب على المؤمن أن يكون دائما فى معية الله ، فمن كان مع الله كان الله معه لقوله تعالى :

(إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

تابع : (احذروا التسويف)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادي له ، ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذى قال : **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسرعلى معسر يسرالله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)** اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلاَّفَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْغِنًى مُطْغِيًا ، أَوْمَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْالدَّجَّالَ...فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ...فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) .

أيها المسلمون : فقد تحدثنا فى اللقاءين السابقين عن بعض فقرات الحديث وقلنا : على كل إنسان أن يرضى برزقه ويشكر ربه عليه ، فمن يدرى إذا تطلع للمزيد كيف سيكون حاله مع ربه وأنتم تعلمون قصة ثعلبة...؟ وقد علمنا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك فقَالَ : (عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ : لاَ يَارَبِّ وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ) فعليك أيها المسلم أن تستسلم لله ، فهو محبٌ لك أكثر من حبك لنفسك ، فهو سبحانه وتعالى مشتاق للقائك حتى ولوكنت عاصيا يقول فى الحديث القدسي :

(عبدي المؤمن أحب إلي من بعض ملائكتي ، لو يعلم المعرضون انتظاري لهم لتركوا معاصيهم ، ولو يعلمون شوقي إليهم لتقطعت أوصالهم من حبي شوقاً إليَّ...هذه إرادتي بالمعرضين فكيف إرادتي بالمقبلين؟!) .

ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوْغِنًى مُطْغِيًا) الواحد منا عندما يكون دخله محدودا...تراه مستقيما من مسجد إلى مسجد ، أما الدخل الكبير فتراه من ملهى إلى ملهى ، تراه يسافر إلى باريس ولندن ولاسبيكس ، تراه يحرص على أن يكون عنده مكتب فيه سكرتيرة حسناء...يريد أن يكون عرس ابنه أوابنته فى شيراتون وينفق آلاف الدولارات وهناك الآلاف من الأسر تموت كل يوم من الجوع ، لو كان مهموما بالجوعى والمحرومين لأقام حفل الزواج فى مسجد أو فى صالة متواضعه وأهدى العروسين ، ثم أنفق وتصدق على ذوى الحاجة حتى يكون الزواج مباركا نعوذ بالله من هذا الغنى ، والله هو البلاء كله ، قرأت عن رجل أعمال عربي عنده أكبر محلات الحلويات فى الشرق الأوسط يرسل كل يوم للدول النفطية طائرة بضاعة من إنتاجه...دخل يوما المعمل...فلم تعجبه عجينة المعمول فأمسك العجينة ووضعها على الأرض ودهسها بنعله فقال له العامل : سيدي ؟ فرد عليه قائلاً : الناس من تحت حذائي يأكلون بعد شهر واحد إمتلأت قدماه بالصديد فانقطعت من ركبتيه ، لقد رأى نفسه أنه أحسن من البشر فأهلكه طغيانه فالغنى مطغٍ ياعباد الله كما قال تعالى : (كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) وقال بعض الصالحين : من سأل الله تعالى الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه ليناقشه ويحاسبه ، وفي صحيح البخاري : (مَن نوقِشَ الحساب عُذِّب) .

أيها المسلمون : ليس يخفى على أحدكم أن أودية الدنيا سحيقة وشعابَها كثيرة ، والخلاصُ من فتنتها والنجاة من غرورها يحتاج إلى مجاهدةٍ للنفس واستعانةٍ بالعلي الأعلى ، فحب الدنيا مغروس في النفوس قال تعالى :

(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) فإن قلت : فما سبيل الخلاص من فتنة الدنيا المهلكة ؟ نقول :

أولا : إن أول طريق للخلاص هو التفكير الدائم في أمرالآخرة وإعطاؤها نفس الوقتِ والهمة والعمل الذى يكون للدنيا ففي القلب استعداد للآخرة كما أن فيه استعدادًا للدنيا ، وحين يميل المرء لأحدهما فسيكون نصيب الآخر ضئيلا فليختر العاقل ما شاء : إما متاعَ الغرور ، أوالنعيمَ الدائم الذى لايزول .

ثانيا : والشيء الآخر الذى يعين على الخلاص من فتنة الدنيا ألا وهو القناعة بالرزق والرضا بالعيش فقد روى مسلم أن رجلا سأل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : أولسنا من فقراء المهاجرين ؟! فقال عبد الله :

ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، ثم قال : فإن كان لك خادم فأنت من الملوك .

ثالثا : الدواء الشافى والحل النافع هو ما ذكره الرحيم بأمته الشفيق عليهم يقول صلى الله عليه وسلم : (انظروا إلى من هوأسفل منكم ، ولاتنظروا إلى من هو فوقكم...) رواه مسلم ، غيرَ أن بعض الناس يحاول جاهدًا أن يعيش عيشة الأغنياء المترفين ولوكلفه ذلك كل شيء ، فتجده يدخل نفسه في متاهات الديون والأقساط لا لشيء ضروري ولكن في سبيل أن تكون له : سيارة فارهة ، أومنزل فاخر ، وقد يكون دخله محدودا فبعد سداد ما عليه من أقساط : للسيارة ، وللأثاث ، ولدين هنا أو هناك...ربما لا يبقى له شيء يعيش به هو وأبناؤه ، فلو قنع بما آتاه الله ولم ينظر إلى من هو فوقه لكان أغنى الناس .

رابعا : مما يعين على الخلاص من فتنة الدنيا أن تعلم كيف عاش النبيَ صلى الله عليه وسلم لتقتدي به : فقد عاش زاهدًا في الدنيا حتى بعد أن فتحت عليه الفتوح فأما بيته : فتقول عائشة أم المؤمنين : كنت أنام في قبلة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي من الليل ، فإذا أراد أن يسجد غمزني فقبضت رجلي ، فإذا قام بسطتهما متفق عليه وأما طعامه : فقد كان يمر الهلال والهلال وما يوقد في بيته نار ، ولا يجد من رديء التمر ما يملأ بطنه وأما لباسه : فقد أخرجت عائشة رضي الله عنها للناس رداء وكساء غليظًا فقالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين .

أيها المسلمون : الدّنيا التي يذمّها الإسلامُ هي دنيَا الشهواتِ والملهيات ، دنيا تضييع الحقوق والواجبات ، الدنيا التي تَشغَل عن الله وتلهي عن الآخرة ، أما دنيا الطاعات فهذه يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كهذا الذى ينفق ماله ذات اليمين وذات الشمال ، يأخذه من حله ويصرفه في مصارفه الشرعية ، لايلهيه عن ذكر الله ولايطغيه هؤلاء هم المتقون الذين وصفهم الله فقال : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) فالجمعُ بين الدّين والدّنيا ، وبين التّقوى والغِنى من الإيمان لذلك كان من دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اللهمّ أصلِح لي ديني الذي هو عِصمة أمري ، وأصلِح لي دنيايَ التي فيها معاشي ، وأصلِح لي آخرتي التي فيها معادِي ، واجعَل الحياةَ زيادةً لي في كلّ خَير ، واجعل الموتَ راحة لي من كلّ شرّ) ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوْمَرَضًا مُفْسِدً) فـماهي قيمة الحياة مع المرض؟ لهذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَوْهَرَمًا مُفَنِّدًا) فمن عصى ربه فى أول أمره ولم يتب قبل مرحلة الشيخوخة ، تراه فى كبره يخرف يقول : ما أطعموني ، يتدخل فيمالا يعنيه الناس يهربون منه ويتركونه وحيداً ، يصبح موضع سخرية ، يتمنى أقرب الناس له موته ، أما المؤمن الذى كان فى طاعة الله فيمتعه الله بعقله وجوارحه حتى يموت بعض الصالحين وثب وثبة عالية فعاتبه أصحابه فقال : جوارح حفظناها فى الصغرفحفظها الله علينا فى الكبر ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوْمَوْتًا مُجْهِزًا) وهذا أيضا من طغيان المال كمن يشترى بيتًا أو يبنيه فيهتم بتزيينه من الخارج بالرخام وغيره أكثر من الداخل وهذا من علامات الساعة فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْنِيَ النَّاسُ بُيُوتًا يُوشُونَهَا وَشْيَ الْمَرَاحِيلِ) النِّيَابَ الْمُخَطَّطَةَ ، ولايدرى أن اسمه مع ملك الموت...ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوْالدَّجَّالَ...فَشَرُّغَائِبٍ يُنْتَظَرُ) وفى الحياة دجالون كثر...الكلام كالعسل والفعل كالصبر...أي إنسان يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلب هذا نموذج من الدجال تجد كلامه طيبًا...فإذا عاملته كرهت الناس كلها بسببه ، ثم يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوْ السَّاعَةَ...فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟) أشد رعبا وخوفا وأمر من كل مُرّ ، والساعة تعني يوم القيامة قال تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) هذه النقاط السبع قد تصيب كل واحد منا فيجب على المؤمن أن يكون دائما فى معية الله ، فمن كان مع الله كان الله معه لقوله تعالى : (**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**) وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)